

دور الزهري في التدوين التاريخي

المدرس الدكتور
ناجح جميل عبد الحسن
الكلية الإسلامية الجامعة / النجف الأشرف

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على
اشرف المرسلين المصطفى المختار
محمد (ﷺ) وعلى آله الطيبين
الطاهرين.

حظي ابن شهاب الزهري في
العصر الحديث باهتمام الباحثين أكثر
مما حظي غيره من أقرانه ومعاصريه
ويرجع ذلك الاهتمام وتلك العناية
الى أسباب عديدة منها:-

منزلته العلمية في الحديث في
القرن الأول الهجري والربع الأول
من القرن الثاني الهجري، وإسهامه
الكبير في نشره وقيامه بجمعه وتدوينه
متبعاً من سبقه في هذا المضمار ، وكان
له شرف في تدوين السنة النبوية
والذي يعد من الاوائل الذين دونوا
التاريخ الاسلامي .

وقد امتاز بدعوته المحدثين
والرواة من أهل زمانه – أهل الشام
خصوصاً – بالأخذ بالإسناد الجمعي،
والمقصود بالإسناد الجمعي بأن يجمع
عدة روايات في قصة سهلة متسلسلة
يتقدمها رجال الأسانيد وهو بهذا
خطى خطوة مهمة نحو الأخبار
التاريخية المتصلة^(١). ومن السمات
الأخرى التي ميزت منهجه التاريخي
انه كان يورد الآيات القرآنية التي لها
صلة وثيقة بما يسرده من أخبار^(٢) .

فضلاً عن ريادته في التصنيف
في السيرة النبوية والتأريخ. كما كان
يتمتع بعلاقة طيبة بالامويين فقد وفد
على مروان بن الحكم في دمشق ثم
على عبد الملك ثم استقر فيها فترة من
الزمن واجرى اليه الامويون راتباً

معينا ثم ساءت علاقته معهم فعاد الى الحجاز^(٣).

حياة الزهري إسمه ونسبه

هو الإمام الحافظ الفقيه المؤرخ أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري^(٤). بضم الزاي وسكون الهاء وكسر الراي

الشهير بـ ((ابن شهاب)) و ((الزهري)) وهو قرشي من بني زهرة بن كلاب - أخي قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي وهي من قريش جد رسول الله (ﷺ) أخوال رسول الله (ﷺ) إذ أن أمه (ﷺ) هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب.

كان جده عبد الله الأصغر ابن شهاب قد شهد أحداً مع المشركين وكان أحد المتآمرين على قتل رسول الله (ﷺ).

لكنه أسلم فيما بعد وتوفي في مكة في أيام الخليفة الراشد الثالث

عثمان بن عفان (رضي الله عنه)^(٥). بينما كان أخوه واسمه عبد الله^(٦) أيضاً ويعرف بالأكبر أحد المسلمين الأوائل والذي هاجر الى الحبشة الهجرة الثانية، وقد توفي في مكة قبل الهجرة النبوية. وهو من الفقهاء السبعة وابرز مؤرخي السيرة^(٧).

وكان والده مسلم بن عبيد الله أحد المناصرين لعبد الله بن الزبير والمدافعين عن خلافته مقابل بني أمية^(٨).

وكان له أخ أكبر منه وهو المحدث الثقة ((عبد الله بن مسلم))^(٩) إلا أن الرواية لم تنتشر عنه انتشارها عن أخيه، وقد أكثر ابنه محمد بن عبد الله بن مسلم^(١٠) الرواية عن عمه الزهري صاحب الترجمة.

وقد ذكر احد المؤرخين^(١١) أن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤ هـ) هو المؤرخ الأول من ثلاث هم:

عبد الله بن ابي بكر بن حزم ((ت بين ١٣٠ - ١٣٥ هـ)).

عاصم بن عمرو بن عتادة (ت ١٢٠ هـ).

ولادته وحياته:

ولد الزهري - في أبعده التقديرات - سنة (٥٠) هجرية^(١٢) والروايات الأخرى لسنة مولده هي :- ٥١، ٥٦، ٥٨ هجرية^(١٣) وعمره نحواً من سبعين سنة عاش بداية حياته في المدينة حيث كانت نشأته بالشام قضى معظم بقيتها - اعتباراً من سنة (٨٢) هجرية متنقلاً بين الشام والحجاز. وكانت وفاته سنة (١٢٤) هجرية وفي روايات أخرى سنة (١٢٣) و (١٢٥) فإذن فقد عاش النصف الثاني من القرن الأول الهجري والربع الأول من القرن الثاني الهجري^(١٤). وقبره في ناحية الشام وقبره بيداو شغب مشهور يزار^(١٥).

والزهري أحد كبار صغار التابعين، ويعتبر من صغار التابعين لرؤيته ولقائه القليل من الصحابة الذين لا يزيد عددهم عن عشرة أنفار^(١٦) روى عن أكثرهم الحديث

والحديثين. وأهم أولئك الصحابة الذين لقيهم الزهري وتلمذ لهم وروى عنهم هو الصحابي أنس بن مالك الأنصاري، خادم رسول الله ﷺ^(١٧).

فقد روى عنه الزهري ما يقرب من خمسين حديثاً وهي منتشرة في كتب الحديث الستة المعتمدة عند أهل السنة^(١٨) وعندما بلغ الزهري الثلاثين من عمره أو نحوها ارتحل الى دمشق قاعدة الدولة الإسلامية يومذاك وكان الخليفة آنئذ هو عبد الملك بن مروان، وكان من حسن حظ الزهري، أن عبد الملك كانت تشغله مسألة فقهية - بالرغم مما كان فيه من حالة حرب - تتعلق بأمهات الأولاد، وكان في شبابه قد سمع فيها رأياً ولكنه لا يتذكره جيداً كما أن أحداً من محدثي الشام لم يسعفه بنصها، وعن طريق قبيصة بن دؤيب اتصل الزهري بعبد الملك وحكى له الرأي في تلك المسألة. وبعد أن أمتحن عبد الملك علم الزهري، أعجب به فقضى عنه ديوانه وضمه الى صحابته وأمر له

براتب يكفيه مؤونة هموم العيش وأمره بالرجوع الى المدينة والاستزادة من العلم والتفرغ له^(١٩).

عاد الزهري الى المدينة وعاود الاتصال بأهل العلم ونشط من جديد لاستكمال دراسته العلمية فأخذ يدرس ويجمع ويدون ويحفظ حتى جمع من العلم مبلغاً لم يجمعه أحد قبله، فضم علم فقهاء المدينة السبعة الى علوم الآخرين ومحضه، ثم جمع علم أهل الحجاز الى علم أهل الشام وبذلك أصبح أبصر الناس بالحديث وبلغ منزلة عالية في العلم حتى أنه كان عندما يتردد على المدينة يتوقف محدثوها عن التحديث ويمتنع فقهاؤها عن الإفتاء أجلاً له، بل أن بعضهم كانوا يذهبون الى مجالسه لسماع الحديث منه بالرغم من كبرهم وصغره^(٢٠). فنجد عالماً كعمر بن دينار الذي كان يفاخر بلقائه بعض الصحابة ودرسته عليهم مما لم يتيسر للزهري لأنه لم يدركهم كان على مرضه يذهب الى الزهري ولا يعود

الى أصحابه إلا في وقت متأخر، وهو يعجب بعلم الزهري^(٢١).

دراسته:- درس ابن الزهري في أول عهده بالعلم على الصحابي عبد الله بن ثعلبة بن صغير وهو من صغار الصحابة، فقد كان يتعلم منه الشعر والنسب - خاصة نسب قومه بني زهرة - ثم أنه تحول الى دراسة القرآن الكريم والحديث والفقه، فدرس على فقهاء المدينة السبعة وكان أهمهم وهم الذين أثروا في نشأته العلمية وأستقى علمه منهم وهم^(٢٢):-

- ابان بن عثمان بن عفان (ت ٩٥ هـ). ويعتبر ابان محدثاً لامؤرخاً وما روى عنه من هو في السنة لا التاريخ^(٢٣).

- سعيد بن المسيب بن حزن - أبو محمد المخزومي القرشي (٩٤ هـ).

- عروة بن الزبير بن العوام - أبو عبد الله الأسدي القرشي (٩٤ هـ).

- أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي القرشي (٩٤هـ) (٢٤).

- عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، أبو عبد الله الهندي (٩٨هـ).

وقد لازم الزهري هؤلاء العلماء الأربعة الذين كان عليهم مدار العلم والفتوى في المدينة في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، ملازمة تامة سنين طويلة حتى أنه كان يتولى خدمة بعضهم في منازلهم (٢٥).

منزلته العلمية: - كان ابن شهاب ذا همة عالية، وعزم قوي، ودأب متواصل، فقد حفظ القرآن الكريم في ثمانين ليلة، وكان يدور على مجالس العلم وحلقات الدروس وقد شد ثوبه على صدره والألواح والصحف بيده فيسائل كل من يلقاه في تلك المجالس والحلقات، كهلاً كان أم شاباً، كما كان يدور على البيوت - بيوت الصحابة من المهاجرين والأنصار (٢٦). وكان يطرق الأبواب ويسائل أبناءهم

عما يشغل باله ويسجل ذلك كله، حديثاً كان أم سنة من سنن رسول الله (ﷺ) أو رأياً لصحابي أو قولاً لتابعي، ولم يكن يتوانى في ذلك ولم تقصر همته، ولم يضعف من عزيمته ضحك أقرانه وسخريتهم منه (٢٧). وعندما كبر ابن شهاب وكبر أولئك الأقران والأصحاب ورأوا منزلة صاحبهم الزهري العالية وازدحام الناس عليه لينهلوا من علمه ندموا على ما فاتهم ولكن هيهات فقد أصبح الزهري، وقبل أن ينهي القرن الأول الهجري سنواته ويفتح القرن الثاني يومه: ((أعلم الناس بسنة ماضيه)) (٢٨) و ((لولا له ضاعت أشياء كثيرة من السنن)) وكان ابن شهاب إلى تلك الهمة العالية والعزم القوي والدأب المتواصل في تدوين العلم، ذا ذاكرة قوية، فقد كان يحفظ الحديث في المجلس نفسه، فلا يبرحه إلا وقد حفظه فإن كان الحديث طويلاً استعان بورقه يدون فيها الحديث ليستظهره حتى يحفظه. والزهري لم يقتصر على روايته ((مغازي)) عروة بن الزبير بل قام ببحث واسع عن روايات المدينة

وأحاديثها وكتب ما كان يسمع ليعين ذاكرته وقد محص تلك الروايات ووضعها في إطار متين واضح ودراسة روايته التي

وصلتنا تجعلنا نغفل إلا أنه كان أول من أعطى ((السيرة))^(٢٩) وهو التعبير الذي استعمله هيكلاً محدوداً ورسم خطوطها بوضوح وتبدأ حفظته للسيرة بذكر بعض المعلومات عن قبل الإسلام والتي تتصل بحياة النبي محمد (ﷺ) ثم تناول النواحي الهامة من الفترة المكية من حياة الرسول ثم الهجرة الى المدينة وتناول المغازي فتح مكة وبعض السفارات التي أرسلها الرسول والوفود التي قدمت عليه ويتحدث عن فعاليات أخرى للرسول ثم مرضه وانتقاله من هذه الحياة وراعى الزهري التسلسل التاريخي في حوادث السيرة وأعطى تواريخ الحوادث المهمة وقد أخذ الزهري جل مواده عن السيرة من الحديث ولا نجد إلا أثراً بسيطاً للقصص فيما يكتب كما أننا نجد صدى ضعيفاً في مادته لقصص الأنبياء التي أهتم بها كما

يبدو. ومع أن الزهري كان يحب الشعر مثل أبناء عصره بل انه كان ضليعاً في الشعر إلا أن إستمالاته له محدود في مغازيه فهو بعيد عن أسلوب الأيام في كتابته.

وتناولت دراسات الزهري فترة الخلفاء الراشدين. إذ تناول بإمعان الحوادث الهامة والمشاكل الرئيسية في تأريخ الأمة مثل انتخاب أبي بكر (رضي الله عنه) وتأسيس الديوان وجمع القرآن والشورى والفتنة ومقتل عثمان وانتخاب علي (رضي الله عنه) وانتقال السلطة الى الأمويين وهو بذلك يظهر أهمية التجارب التي مرت

بها الأمة. ومن ناحية أخرى كان الزهري عالماً بالأنساب إذ ألف كتاباً في نسب قريش وقد اسند الزهري رواياته واشتهر بقوة إسناده ونظرتة في ذلك تمثل نظرة عصره حيث نجده يعتبر رواية التابعين أحياناً أقل مينةً بشروط الإسناد الجمعي. حيث يدمج عدة روايات في خبر متسلسل وبذلك يسير خطوه مهمة نحو

والمؤرخين وغيرهم من الباحثين لمنزلته العلمية الكبيرة التي ألحنا الى طرف منها وأولوه عناية فائقة، وكتبوا عنه دراسات كثيرة في نواحي حياته المختلفة، فقهه، آرائه، جمع حديثه ونقده، دراسة سيرته والترجمة له، وقد تخصص عدد غير قليل من المحدثين في حفظ حديثه وفقهه والتصنيف فيه^(٣١).

الكتابة التاريخية المتصلة^(٣٠).
وقام الزهري بخدمة أخرى هامة للدراسة التاريخية إذ أنه كتب رواياته ويعتبر الزهري أول من فصل ذلك بصورة منظمة وقد وجد إهمال عديد في مؤلفاته في خزانة الكتب في البلاط الأموي أما الروايات التي تذكر أنه أجبر على الكتابة فهي صدى لمناسبات حصلت بعد عصر الزهري.

عني بالزهري - قديماً وحديثاً - كثير من العلماء من المحدثين والفقهاء
شيوخ الزهري:- روى عن:-

- ١- عبد الله بن عمر.
- ٢- أنس بن مالك.
- ٣- سهيل بن سعد.
- ٤- عبد الله بن ثعلبة بن صغير.
- ٥- محمود بن الربيع.
- ٦- عبد الله بن أزهر.
- ٧- أبي الطفيل عامر بن دائلة.
- ٨- سعيد بن المسيب.
- ٩- عروة بن الزبير.
- ١٠- القاسم بن محمد بن أبي بكر^(٣٢).
- ١١- عبد الله بن الحارث.
- ١٢- عباد بن تميم.

- ١٣- حمزة بن عبد الله بن عمر
- ١٤- حفص بن عاصم بن عمر
- ١٥- عامر بن سعد بن أبي وقاص
- ١٦- كثير بن العباس بن عبد المطلب.
- ١٧- عبد الله بن كعب بن مالك.
- ١٨- خالد بن سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان.
- ١٩- محمد بن سويد الفهري.
- ٢٠- علي بن الحسين (ع).
- ٢١- علقمة بن وقاص الليثي.

تلاميذه:-

روى عنه:-

- (١) عمر بن عبد العزيز.
- (٢) عمرو بن دينار.
- (٣) عراك بن مالك.
- (٤) قتادة بن دعامة.
- (٥) عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم.
- (٦) يحيى بن سعيد الأنصاري.
- (٧) مالك بن انس.
- (٨) يونس بن يزيد.

(٩) معمر بن راشد.

(١٠) عكرمة بن خالد.

(١١) هشام بن عروة.

(١٢) عبد الله بن دينار.

(١٣) يونس بن يزيد.

(١٤) يزيد بن رؤمان

وفاته:

وبعد حياة طويلة جاوزت السبعين عاماً قضاها الزهري في طلب العلم والمعرفة وتدوينه وتعليمه ونشره في الحضر والسفر والمدن والقرى. بعدها توفي في قريته بشعب في أداما في آخر عمل الحجاز وأول عمل فلسطين. وأوصى أن يدفن على قارعة الطريق ليدعوه من يمر به.

فرحمه الله والمسلمين جميعاً
رحمةً واسعة^(٣٣).

الخاتمة:

أشتهر ابن شهاب الزهري بمنزلته العلمية في الحديث والرواية واسهم بشكل كبير في نشر الحديث النبوي بعد قيامه بجمعه وتدوينه ودعوته المشهورة الى المحدثين والرواة

من معاصريه للأخذ بالإسناد والالتزام به عند الرواية وقد بلغ مكاناً رائداً في التدوين في عصر أعتمد على الرواية الشفهية.

ويعد احد الفقهاء السبعة وابرز مؤرخي السيرة النبوية ، وكان يدون ملاحظاته وكل ما يسمع من الاحاديث.

وقد تمتع الزهري بعلاقة طيبة مع الامويين ، ولكنها لم تدم سوى اربعين سنة ، وقد رجع الى الشام بعد أن ساءت علاقته بهم .

وكان للزهري دور كبير في تدوين السيرة النبوية وكان يتمتع بأسلوب صريح وبسيط ومركز ابتعد

قدم الزهري خدمة كبيرة في التاريخ العربي الإسلامي إذ إنه يعد من الذين رسموا الخطوط الأولى للمنهج التاريخي.

عن المبالغة والتفخيم ، ولم تقتصر نتاجاته على المغازي بل شملت الانساب وتاريخ صدر الاسلام كما تناولت كتاباته فترة الخلفاء الراشدين اذ عرضها عرضاً مفصلاً.

هوامش البحث

- (١) الإصابة في تمييز الصحابة، القاهرة، مطبعة شرف وخانجي، ١٣٢٥ هـ.
- (٦) كان اسمه أولاً عبد الجان، غيره رسول الله (ﷺ) الى عبد الله.
- (٧) السمعاني، سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (٥٦٢ هـ) الانساب، مطبعة دار المعارف العثمانية، ط١، ١٩٦٦ م، ج ٣/ص ٤٥٣.
- (٨) كان اسمه أولاً عبد الجان، غيره رسول الله (ﷺ) الى عبد الله.
- (٩) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٦، ص ٢٩.
- (١٠) روز نثال، نشأة علم التأريخ عند العرب، تحقيق صالح أحمد العلي، (بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٠)، ص ٢٣، ٢٤.
- (١١) روز نثال، المصدر نفسه، ص ٢٠.
- (١٢) ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق، ص ١٠.

- (١) الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (٣١٠ هـ) تاريخ الرسل والملوك، المطبعة الحسينية، القاهرة، ١٣٣٦ هـ، ج ١/ص ١٥١٧.
- (٢) الواقدي محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧ هـ) المغازي، القاهرة، بولاق، ١٢٩٩ هـ، ص ٦٥٦.
- (٣) شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨ م، ج ١/ص ١٥٨.
- (٤) ابن عساكر، علي بن الحسن الدمشقي (ت ٥٧١ هـ)، تهذيب تاريخ دمشق، تهذيب عبد القادر بن احمد الروحي، (دمشق، ١٣٤٩ هـ)، ج ١٥، ص ١٦٤.
- (٥) ابن سعد، محمد (ت ٢٣٠ هـ)، الطبقات الكبرى، (بيروت، دار صادر، ١٩٦٠)، ج ٤، ص ٩٢، ٦٣؛ ابن حجر، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد الكفاني، (ت ٨٥٢ هـ)،

(٢٢) عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ، دار الصياد، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٧٨.

(٢٣) شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج ١/ص ١٥٢.

(٢٤) الكتبي، فوات الوفيات، ص ٩٣.

(٢٥) الاسفرايني، أبو المظفر عماد الدين، التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية عن الفرق الهالكين (القاهرة، طبعة الخانجي ١٩٥٥)، ص ١٣٥.

(٢٦) البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ) تاريخ بغداد، مطبعة دار الفكر، بيروت، لبنان، د، ت، ج ٥/ص ٣٣١.

(٢٧) صبحي الصالح، علوم الحديث، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م، ص ٣٨١.

(٢٨) ابن سعد، محمد، كتاب الطبقات الكبير (ت ٢٣٠هـ)، (بيروت، دار صادر، ١٩٥٧ - ١٩٦٠)، ج ٤، ص ٨٥.

(٢٩) الشماخي، أبو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، كتاب السير، (طبعة الجزائر ١٨٧٨)، ص ٤١٢.

(٣٠) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٤٨٤هـ)، تاريخ اليعقوبي، (بيروت، دار صادر، ١٩٦٠)، ج ٣، ص ١٥.

(٣١) المقرئ، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ)، إمتاع الأسماع بما

(١٣) البخاري، أبي عبد الله بن اسماعيل (٢٥٦هـ) التاريخ الكبير، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدرآباد، الدكن، ١٣٦٠هـ، ج ١/ص ١٨٠.

(١٤) الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد (ت ٧٦٤هـ)، فوات الوفيات، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، (القاهرة مطبعة السعادة، لا. ت)، ج ١، ص ١٢٠.

(١٥) ابن خلكان، أحمد بن محمد بن خلكان (٦٨١هـ) وفيات الأعيان، بولاق، ١٢٩٩هـ، ج ١/ص ٤٥٣.

(١٦) الذهبي، محمد بن أحمد الذهبي (٧٤٨هـ) سير اعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م، ج ٥/ص ٣٢٨.

(١٧) شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج ١/ص ١٥٢.

(١٨) الكتبي، فوات الوفيات، ج ١/ص ١٢٢.

(١٩) الأويني، الوزير أبي عبيد البكري، سمط اللآلي، حققه عبد العزيز الميمني، (مصر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٣٦)، ص ٩٥.

(٢٠) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) المعارف، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٣٥م، ص ٢٦٠.

(٢١) ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق، ج ١٥، ص ١٢، ١٣.

، الدكن ، ص ٣٢١؛ ابن حجر، تهذيب
التهذيب، مطبعة دار المعارف العثمانية،
حيدرآباد ، الدكن ج ١٢، ص ١٣٠.
(٣٣) ابن عساكر، تهذيب تاريخ
دمشق، ج ١٥، ص ١٣.

للمرسول من الأنبياء والأموال والحفدة
والمتاع، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف
والنشر ١٩٤١)، ص ١٢٣.
(٣٢) الرازي، فخر الدين محمد بن
عمر (ت ٣٢١ هـ)، الجرح والتعديل،
مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدرآباد